

المحاضرة السابعة

كلية العلوم الإسلامية - قسم الحديث وعلومه

اسم المحاضر : أ.د. أحمد قاسم عبد الرحمن

المرحلة : الثانية

اسم المادة انكليزي : **Isoll Tafser**

اسم المادة عربي : أصول تفسير

اسم المحاضرة انكليزي :

اسم المحاضرة بالعربي :. عصر الركود والجمود في التفسير

مصدر أو مصادر المحاضرة : أصول التفسير د. خليل رجب حمدان - أصول التفسير وقواعده - خالد

العك

عصر الركود والجمود في التفسير

ثم ابتداءً بعد هذا العصر عصر جديد يمكن أن نطلق عليه عصر (الركود والجمود) ابتداءً بعد القرن السادس الهجري، توقفت فيه حركة الإبداع في التفسير، وبدأ دور التقليد والجمود واتجه المفسرون في هذا العهد إلى اختصار التفاسير التي سبقتهم، ونقل الروايات التي أوردتها كتب التفسير في المأثور من غير إسناد، أو نقلها عن أسلافهم دون نسبتها إلى قائلها، ومال البعض منهم إلى المختصرات التعليمية.

ومثال على هذا الطور من أطوار التفسير تفسير أبي البركات النسفي (ت ٧١٠هـ) (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) الذي نقل فيه ما اختصره وانتقاه من تفسيري الزمخشري (الكشاف) والبيضاوي (ت ٦٨٥هـ) (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وما كان له فيه من عمل تجديدي وإبداع، وإنما اقتصر على النقل مع التوضيح أو الاعتراض والتفنيد أحيانا لرأي من سبقه، مثل ما كان يفعل مع اعتراضات الزمخشري، أو تعليق هنا وهناك، ومثله ما فعل النيسابوري (ت ٧٢٨هـ) في تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) الذي اختصره من تفسيري الرازي والزمخشري، وأضاف إليه بعض الإشارات الصوفية التي استقاها ممن سبقه.

لذا فإن هذه المرحلة لم نجد فيها مفسرا مؤصلا للرأي أو المنهج، متمكنا من تصوير حالة عصره، إلا نادرا، إذ غلب عليهم تدوين المختصرات، وتعليق الحواشي، وتتبع كلام من سبق، ونقل كلام غيرهم مع الزيادة عليه، أو جمع الروايات والأقوال بلا تحقيق، فاختلط الغث بالسمين، ودخل الوضع، وكثرت الإسرائيليات المردودة فيه.

إلا أن هذا لا يعني عدم ظهور مفسر بارع ومحقق على الإطلاق في هذا العهد، وإنما هذه هي الصفة الغالبة، فقد ظهر الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) وتلميذه الإمام ابن القيم (ت ٧٥١هـ) اللذان كانا ذوي فهم دقيق في تفسير القرآن ومعرفة أحكامه، واستكناه أسرارته وحكمه، فراحا يراجعان الموروث من التفاسير مراجعة

نقدية نافذة، بعقلية محققة أمينة وأصيلة، وبشجاعة واثقة مؤمنة، مفندين الاتجاهات المنحرفة في التفسير، ومميزين بين المنهج الأصولي الصحيح، والطرق الضالة، دون انسياق وراء الموضوعات الغريبة، والمصطلحات الأجنبية. لكنهما لم يصنفا في التفسير كتابا مستقلا، وإنما وردت آراؤهما في ثنايا مصنفاتهم المختلفة.

وكان الأمر الأهم الذي دعيا إليه: هو أن يكون القرآن منهج المسلمين الذي يستمدون منه النصر والتقدم والفلاح، استمدادا ينسجم مع صورة العصر الذي يعيشه المفسر دون خروج على الأصول، ولا تمسكا تقليديا جامدا على القديم.

كما ظهر في هذا العهد الإمام المحقق والمحدث والمؤرخ الكبير ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) الذي لا يمكن أن تغفل جهوده الكبيرة في التفسير، وما قام به من تحقيق علمي دقيق للروايات التي وصلت إليه، ولم يكتف بالجمع والنقل، فكان تفسيره بحق من التفاسير الأصيلة التي تجاوزت سمة عصرها.

ثم خلد التفسير بعدهم إلى الركود من جديد حتى العصور المتأخرة، فلم نلاحظ طيلة هذه القرون من قام بعمل تجديدي وإبداعي في التفسير حتى القرن الثالث عشر الهجري حينما ظهر بعض الأئمة المحققين والمفسرين البارعين، فابتدأ معهم عهد جديد يؤذن بنهضة جديدة في التفسير.

ومن هؤلاء الإمام المجتهد والمفسر البارع والمصلح الكبير محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) في تفسيره (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) فمع كونه اختصر كثيراً مما أودعه في تفسيره من تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، وأحيانا يكون نقلا حرفيا، ولم يشر الشوكاني إليه، ولا سيما فيما يتعلق بالأحكام الفقهية وبيان معاني الألفاظ، وزيادات أخرى منقولة عن غيره، ثم أضاف إليه تحقيق الآثار التي استقى الكثير منها من تفسير ابن كثير، إلا أنه تميز بمنهج جديد يجمع بين الرواية والدراية، والتميز والفصل عند العرض بين ما كان من الرواية وما كان من الدراية، فيعرض أولاً التفسير الاجتهادي ثم يعقبه بسرد الروايات فيه.

كما تذكر له زيادات بارعة، ونظرات فاحصة دقيقة في الكثير من المواضع، كتعقبه لآراء المفسرين ومذاهب العلماء الفقهية المستفادة من النص القرآني بالفحص والنقد قبولاً ورداً واستدراكاً، ومراجعته للأثار والأقوال الواردة في تفسير القرطبي وابن كثير بالتحقيق والترجيح، وإشارات إلى مزايا التعبير القرآني، ولفئاته البلاغية الجميلة، والوقوف على حالة العصر الذي يعيشه، والعمل على معالجة المشكلات والأخطاء العقيدية والاجتماعية والسياسية التي يمر به المجتمع المسلم انطلاقاً من توجيهات القرآن وإرشاداته، وودعته الأمة إلى النهوض وبناء حياتهم على أساس منهج السلف المنطلق من الكتاب والسنة، وبما يظهره مصححاً اجتماعياً غيوراً على دينه وأمته.

وممن ظهر في هذا العهد أيضاً الإمام المحقق والمفسر أبو الثناء الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) الذي جمع في تفسيره (روح المعاني) الضخم، بين التفسير النقلي والعقلي، على مستوى متوازن في الدقة والأمانة العلمية وجودة الأسلوب، فأودع فيه ما انتقاه من (الكشاف) و(حاشية الشهاب على البيضاوي) من نكات بيانية ومباحث فنية، ومن (البحر المحيط) لأبي حيان لمحاته الفنية وتحقيقاته اللغوية، ومن الرازي بحوثه العقلية والكلامية، ولم يكن ناقلاً فحسب وإنما كان يناقش ويفند ويرجح ويدلي برأيه، بأسلوب أدبي رفيع، كما يظهر في بعض المواضع من تفسيره بمظهر المصلح المفكر في معالجة أوضاع التخلف في العالم الإسلامي في جوانبه المختلفة متأسياً بأسلافه المصلحين، وقد اتسم تفسيره بنزعة الصوفية، وذلك بإيراد الإشارات على عادة الصوفية في تفاسيرهم، وعلى أية حال فإن تفسيره من أجل التفاسير التي ظهرت في هذا العهد وأجمعها.

